قضايا في الفواصل المطلقة في القران

أ. د. عبد المنعم احمد صالح

جامعة العلوم الاسلامية العالمية

عمان / الاردن

ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة فواصل أواخر الآيات من سورة الأحزاب: ﴿الظُّنُونَا، الرَّسُولاَ، السَّبِيلاَ) [١٠، ٦٦، ٦٧]، التي جاءت معرّفة بأل التعريف، ولحقتها ألف الإطلاق، التي لم تلحق الفواصل المماثلة.

عرض البحث القراءات في هذه الفواصل، وأقوال علماء اللغة والتفسير والبلاغة وغيرهم في تعليل سبب لحاق ألف الإطلاق الفواصل المذكورة، وكان أهم ما أوردوه أن الفواصل تجري مجرى القوافي في الشعر. وقد استبعد البحث هذا الرأي وآراء أخرى فيما يخص الفواصل المطلقة (غير المقيدة وغير المضبوطة) للأسباب التي ذكرها بعد المناقشة.

ورجّح البحث التفسير الدلالي، الذي جاء عند محدثين، فهو أكثر قبولاً وإقناعاً في تعليل ذلك.

ISSN : 1813-6798

مجلة للدراسات الانسانية محكمة متخصصة

تصدر عن كلية التربية / جامعة سامراء

Abstract

This paper aims at examining the endings words (Arabic: Fawasel) of some of the Qur'anic verses at Surat Al- Ahzab (The Confederates) in the Holy Qur'an. These ending words are words that come at the end of the verse, start with the Arabic definite article (Al-), and end with a long vowel /a/that does not come with other similar ending words. These ending words include Al-Dhonoona which means suppositions; Ar-Rasoola; the Messenger; and As – Sabeela; the Path.

The paper introduced the readings of these ending words with the views of the scholars of linguistics, interpretation, rhetoric, and others in order to show the reason behind adding the long vowel to the above – mentioned words. The paper shows that one of the most important points is that these words occur in such a way as Rhymes in poetry. However, this view and other views are not taken into consideration for the resons mentioned after the discussion of the study. Further, the researcher agrees with the semantic explanation suggested by modernizers since it is more acceptable and convincing to understand.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

فمن الأمور التي توقفت عندها كثيراً فيما يخص الفاصلة القرآنية موضوع إلحاق ألف الإطلاق بفواصل سورة الأحزاب الثلاث (الظنونا، السبيلا، الرسولا)[الأحزاب،١٠، ٦٦، ٦٧]، وسبب التوقف أن الألفات التي لحقت بعض فواصل القرآن هي ألفات منقلبة عن تنوين، لحقت ما هو منون من الأسماء، ولم تلحق الاسم المعرف بآل إلا في هذه المواضع الثلاثة المستثناة، وقد رجعت إلى كتب التفسير والقراءات واللغة لاطلع على أقوال العلماء الذين أشاروا إلى هذه الفواصل، وتحدثوا عن أسباب إلحاق الألفات بها مع أنها معرفة بآل، لا يلحقها التنوين، فرأيت أن أغلب الآراء كانت تتجه في تفسير هذه المشكلة إلى أن فواصل الآي تشبه قوافي الشعر، فيحصل فيها ما يحصل في قوافي الشعر، التي تلحق الألف قوافيها المفتوحة حرف الرّوي على اختلاف أنواعها من الكلم، المعرب منه والمبني.

ولما كنت ألاحظ من خلال متابعاتي لقوافي الشعر وفواصل القرآن، أن إطلاق الشبه بينهما غير دقيق، وأن فواصل القرآن أقرب كثيراً إلى كلام العرب وخطبهم منها إلى قوافي الشعر، دعانى هذا وغيره مما سيرد في الدراسة إلى إجراء هذا البحث.

وقد استندت الدراسة إلى أمثلة من قوافي الشعر ومن كلام العرب وخطبهم، وإلى إجراء إحصاء شامل في فواصل القرآن المفتوحة الآخر، لنقف على حقيقة التشابه المزعوم، ولنتعرف الرأي الأكثر قبولاً وإقناعاً في تفسير لحاق هذه الألفات بفواصل سورة الأحزاب المذكورة.

وقد جعلت البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القراءات في (الظنونا، السبيلا، الرسولا) وآراء العلماء في علة إثبات الألف.

المبحث الثاني: تضمن تحليل الآراء ومناقشتها في ضوء كلام العرب وقوافي الشعر وفواصل القرآن، فتضمن تفاصيل تخدم البحث في مجيء الألف في كل من القوافي وكلام

العرب، وفيما يخص الفواصل أجرى الباحث إحصاء لما لحقته الألف منها، وإحصاء للفواصل مفتوحة الآخر ولم تلحقها الألف، وتحليلاً للجدول الإحصائي لما لم تلحقه ألف.

والمبحث الثالث: في أي الآراء أكثر قبولاً وإقناعاً في تفسير مشكلة البحث، وكان في جانبين: الأقوال ذات الصلة غير المباشرة، والأقوال ذات الصلة المباشرة، ثم اختيار الرأي المقبول.

وختمت البحث بالتعريف بأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اتبعت في دراسة الموضوع المنهج الوصفي التحليلي مستعيناً بالمصادر والمراجع ذات العلاقة بمادة البحث، جاءت مذكورة في آخر البحث.

وأخيراً أرجو أن أكون وفقت فيما توصل إليه البحث من نتائج خرج فيها فيما يخص الموضوع.

التمهيد:

سأتناول في هذا التمهيد ملخصاً لأهم ما تناوله الباحثون القدماء والمحدثون من مباحث الفاصلة في القرآن فيما أطلعت عليه من مراجع ومصادر، وقد تناولت الدراسات تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً، وتقسيمها من حيث توافقها واختلافها في الوزن وحرف الروي، وتقسيمها من حيث علاقتها بما قبلها في النص، والنسق الصوتي في الفواصل، وما أسموه بإيقاع المناسبة وغير ذلك، وسأتناول أهم هذه المباحث والتقسيمات بشكل موجز يناسب حجم هذا البحث.

الفاصلة لغة واصطلاحاً:

ذكروا أن الفاصلة لغة تعني "الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام"[١] ، وقيل "الفصل بين الحق والباطل"[٢].

أما في الاصطلاح، فيقول الرّمّاني هي: "حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، وفيها بلاغة"[٣] وتابعه الباقلاني (٤٠٣هـ) بقوله: "بأنها حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"[٤].

وسُمّيت أواخر الآيات في القرآن فواصل.

وقد اختلفوا في تحديد مكان الفاصلة، فمنهم من عدّها آخر كلمة في الآية كالسيوطي[٥]. ومنهم من فرق بين الفواصل ورؤوس الآي مثل أبي عمرو الداني، حيث ذهب إلى أن الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، فقد يكون رأس أية أو غيرها. فكل رأس أية عنده فاصلة، وليس كل فاصلة رأس أية، لكنّ الذي عليه معظم المفسرين هو أنّها آخر كلمة في الآية[٦].

وأود أن أشير إلى أن عدداً من المفسرين أطلقوا اسم الفاصلة ايضاً على الكلمات التي ترد داخل الآية مشاكلة لفاصلة الآية أو لكلمات أخرى داخلها، أذكر منها ما ورد في آية الكرسي ﴿**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾[البقرة: ٢٥٥] فقد نقل الالوسي أراءً مختلفة في تفسير تقديم (السِّنة) على (النَّوم) في الآية، ومنها: "وقيل: إن تأخير النوم رعاية للفواصل"[٧]، فهي تشاكل (القَيُّوْم) قبلها في ﴿**الله لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، ويطلقون على أمثال ذلك اسم الفواصل الداخلية[٨].

وقيل: امتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأن الفاصلة صفة لكتاب الله لا تتعداه[٩]، وقد أجمع العلماء على أن الفواصل لا تسمى قوافي، لأن الله سبحانه لما سلب اسم الشعر عن القرآن بقوله: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ**﴾[الحاقة: ٤١] أوجب سلب القافية عنه لأنها فيه[١٠].

وذكروا أن القوافي لا ترتقي إلى طبقة الفواصل[١١] لأن الفواصل في الطبعة العليا من البلاغة، كذلك أبعدوا استعمال الأسجاع في الفواصل، فـ"الأسجاع عيب لأن السجع يتبع اللفظ، والفواصل تابعة للمعاني"[١٢].

وقد أورد عدد من الباحثين[١٣] قوله تعالى: ﴿**بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ**﴾[الأعراف: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿**آيَاتٍ مّفَصَّلاَتٍ**﴾[الأعراف: ١٣٢] على أنه إشارة إلى الفواصل.

وقد تتبّعت معنى ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ في كتب التفسير، فلم أجد فيها عند كثير منهم، ما يشير إلى الفواصل القرآنية، فمنهم من قال: "فُصِّلت"، أي بُيِّنَتْ ومُيِّزت آياتُه غاية البيان[١٤]، وفسرها

الماتريدي بقوله: "أي ثبت فيها من الحلال والحرام، وما لهم وما عليهم"، وأضاف: وعندنا يحتمل قوله ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ وجهين، أحدهما: فُرِّقت كل آية من الأخرى، والثاني: التفريق في الإنزال[١٥].

أما الطبري فذهب إلى أن المعنى "بُيِّنَتْ آياتُه"[١٦]، وذكر ذلك السمرقندي، وأضاف: وفُسِّرَتْ دلائله وحججه، ويقال بين حلاله وحرامه[١٧]. وذُكر بمعنى فُسرت آياتُه بالحلال والحرام والآمر والنهي[١٨]. وذهب الثعلبي إلى أن المعنى بُيِّنَتْ آياته قرآناً عربياً، ولو كان غيرعربي ما علموه[١٩].

وإلى مثل هذا التفسير ذهب الماوردي[٢٠] والواحدي[٢١] والبغوي[٢٢] والزمخشري[٢٣] وابن الجوزي[٢٤] والعز بن عبدالسلام[٢٥] والبيضاوي[٢٦] والنسفي[٢٧] وابن كثير وذهب إلى مثل ذلك آخرون[٢٨].

أما الإشارة إلى تضمن معنى الآية الفواصل، فقد وجدت ذلك عند الثعالبي (٨٢٥هـ)، حيث كرر المعاني السابقة ثم ذكر: "وقيل: فُصِّلت بالمواقف وأنواع آخِر الآي.."[٢٩]. ونقل أبو الثناء الآلوسي ضمن الأقوال في تفسير المعنى: "وتفصيل آياته: تمييزها لفظاً بفواصلها ومقاطعها"[٣٠]. ومثل ذلك ذكر المراغي[٣١] ثم طنطاوي[٣٢].

وذكر ابن منظور من اللغويين أن لقوله تعالى:﴿كتاب فصلناه﴾[الأعراف: ٥١] معنيين: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني: بيّناه[٣٣].

ووصفوا الفواصل أنها حلية الكلام المنظوم وزينته، ولولاها لم يتبيَّن المنظوم من المنثور. ولا خفاء أن الكلام المنظوم احسن، فثبت بذلك أنّ الفواصل من محاسن الكلام وأنها من جملة المقصود من الأعجاز لرجوعها إلى محسنات الكلام، وإنها لتقع في الأسماع، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع[٣٤].

وتحدثوا عن عدّ القرآن شعراً أو نثراً أو غير ذلك، وكان الرأي المقبول، أنه ليس بشعر ولا نثر[٣٥].

تقسيم الفاصلة:

قسم البلاغيون الفاصلة إلى أربعة أقسام من حيث توافقها واختلافها في الوزن وحروف الروي، وهي:

١. المتوازي: وهو أن تأتي فاصلتان متفقتان في الوزن وحرف الروي، مثل: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ**﴾[سورة: الغاشية، الآيتان ١٣، ١٤].
٢. المتطرّف: وهو أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حرف الروي، من ذلك: ﴿**مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لله وَقَاراً* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً**﴾[سورة نوح، الآيتان ١٣، ١٤] فـ﴿**وَقَاراً**﴾، ﴿**أَطْوَاراً**﴾، متفقتان في الروي ومختلفتان في الوزن.
٣. المتوازن: وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن دون حرف الروي، مثل: ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ* وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾[الغاشية، ١٥-١٦]، فـ﴿**مَصْفُوفَةٌ**﴾ و﴿**مَبْثُوثَةٌ**﴾ متفقتان في الوزن، ومختلفتان في حرف الروي بين الفاء والثاء.
٤. التماثل: وهو أن تأتي عبارتان تتفق الفاصلة فيهما في الوزن دون التفقية، وتكون كلمات الأولى مقابلة لما في الثانية، مثل:﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ*وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[٣٦]، [الصفات ١١٧، ١١٨].

وقسموها إلى أربعة أقسام كذلك من حيث علاقتها بما قبلها وهي:

١. التمكين: وهو أن يمهد للفاصلة بكلام قبلها تمكينا تأتي فيه الفاصلة متمكنة في مكانها، مطمئنة في موضعها، ولو طرحت لاختل المعنى[٣٧].
٢. التوشيح: وهو أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة، حتى تعرف منه قبل قراءتها[٣٨].
٣. التصدير: أن تتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول صدر الآية. وقسموه إلى ثلاثة أقسام[٣٩].
٤. الإيغال: أن ترد الآية بمعنى تام، وتأتي الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى[٤٠].

خروج نظم الآية عن المألوف لمراعاة الفواصل:

وعلّلوا ذلك لأهمية الفاصلة، وما تؤثره في النفوس، يُعدِّل نسق النظم فتخرج الآية عن المألوف، بسبب الفواصل، وقد سميّ الزركشي ذلك إيقاع المناسبة، قال:"واعلم أنّ إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرّد مُتأكَّد، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه في النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج من نظم الكلام لأجلها في مواضع"[٤١].

ومن أجل رعاية الفاصلة للأسباب المذكورة ذكر المفسرون أمثلة تتعلق بأمور متعددة، منها التقديم والتأخير في الآية وهو كثير، ومنها الإحلال اللفظي كأن يحل اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول كما في قوله تعالى: ﴿**مَّاءٍ دَافِقٍ**﴾[سورة: الطارق ٦]، أي: مدفوق ليشاكل الفواصل السابقة واللاحقة في السورة، أو العكس، ومثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[مريم: ٦٠]، أي: آتيا. ومنها الاستغناء بلفظ عن آخر. والقرآن يختار الكلمات بدقة متناهية، وقد استعمل القرآن كثيراً كلمة (غفور) في الفواصل المردفة بالواو، لكنه استغنى عن هذه الكلمة في الفواصل المردفة بالآلف في سورة نوح بكلمة ﴿غَفَار﴾[سورة: نوح ١٠] لتتوافق مع فواصل السورة (إسراراً) و(مدراراً)، ومثل ذلك في السورة نفسها، جاءت ﴿كُبَّارا﴾ بدل (كبير)، ومثله استعمال (عَسِر) بدل (عَسِيْر) في [سورة القمر: ٨]، ومنها حذف بعض الألفاظ في الفواصل. والحذف ظاهرة لغوية عامة، لأن العربية لغة إيجاز، وقد أسماه ابن جنى "شجاعة العرب"، قال: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل..."[٤٢]. وغير ذلك مما لم تخل منه كتب التفسير المختلفة وغيرها.

النسق الصوتي للفواصل:

وتكلموا على الأنساق الصوتية التي تجمع بين الفواصل، منها فواصل مختلفة في حروف روّيها لكنّها متفقة في عدد من خصائصها، كأن يجمع بينها التفحيم كما جمع بين الصاد والطاء والظاء والضاد في قوله تعالى: ﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ.... قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ**﴾ و﴿**...وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ**﴾، ﴿**...وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾، ﴿**... فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**﴾، [فصلت، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١].

ومنها ما يجمع بينها انتماؤها إلى حروف القلقة، مثلما جُمِع بين الطاء والباء والقاف والدال في فواصل سورة الجن ﴿**شَطَطاً**﴾[الآية: ٤] و﴿**كَذِبَاْ**﴾[الآية: ٥]، و﴿**رهَقَاْ**﴾[الآية: ٦]، و﴿**أَحَدَاْ**﴾ [الآية: ٧].

ومنها ما يجمع بينها نسق الغُنة بتتابع صوتي في الفواصل، كما في سورة الواقعة في الفواصل:﴿**الآخِرِينَ**﴾[الآية:٤٩]، ﴿**مَغْلُوْمٍ**﴾[الآية:٥٠] و﴿المُكَذِّبُونَ﴾[الآية:٥١]، و﴿البُطُوْنَ﴾ [الآية: ٥٢] و﴿الحَمِيْمِ﴾[الآية: ٥٣]، فالذي يجمع بين أحرف هذه الفواصل صفة الغنة وصفه الجهر.

وفي صلة القربى بين النون والميم أورد ابن جنى أن النون قد تقلب ميماً في بعض الكلمات مثل: عنبر وقنبر.. (٤٣).

ومنها نسق الأصوات المائعة، وهو أن تتابع أصوات النون والميم واللام والراء في

حزمة واحدة، تسمى الأصوات المائعة الرّنانة(٤٤).

ومنها نسق الجهر حيث تتابع أصوات مجهورة مع صفات تماثل أخرى، كتتابع أصوات اللام والراء والباء والنون في سورة غافر في ﴿سَبِيْلِ﴾[الآية: ١١]، و﴿الكَبِيْر﴾[الآية: ١٢]، و﴿يُنِيْب﴾ [الآية: ١٣] و﴿الكَافِرُوْن﴾[الآية: ١٤].

ومنها نسق الهمس، حيث يتتابع عدد من الأصوات المهموسة، مع صفات تماثل أخرى، كتتابع (الفاء والتاء والسين).

وقد تناول ذلك ابن جني وأورد أمثلة من القرآن ومن الشعر(٤٥). وتحدثوا عن نسق الانزياح الصوتي في الفواصل، بخروج فاصلة واحدة عن النسق العام للسورة أو لمنظومة الآيات، وتحدثوا عن أماكن الخروج في بداية السورة أو في أثنائها أو في نهايتها، وتحدثوا عن تفاصيل أخرى تخص أركان الفاصلة وأبنيتها وإيقاعها وغير ذلك مما يتصل بهذا العلم.

المبحث الأول: القراءات في (الظنونا ، السبيلا، الرسولا) وآراء العلماء في ذلك

١- القراءات في (الظنونا ، السبيلا، الرسولا)[الأحزاب: ١٠، ٦٦، ٦٧].

من خلال متابعة المؤلفات التي عنيت بالقراءات وبتفسير القرآن، ومؤلفات علماء اللغة وغيرها نلاحظ أن القراءات تعددت في فواصل آيات سورة الأحزاب الثلاثة على ثلاثة وجوه[٤٦]، هي:

الأول: حذف الألف وقفاً ووصلاً، وقد نسبت هذه القراءة إلى حمزة وأبي عمرو.

والثاني: بإثبات الألف وقفاً وحذفها وصلاً، وقد نسبت هذه القراءة لابن كثير والكسائي وحفص.

والثالث: بإثبات الألف في حالتي الوقف والوصل، ونسبت هذه القراءة إلى باقي القراء السبعة.

وذكروا أن الألف ثابتة في رسم مصحف عثمان وسائر مصاحف البلدان، ونقل أبو حيان[٤٧] أن اختيار أبي عبيد والحذّاق أن يوقف على هذه الكلمة بالألف، ولا يوصل فيحذف، أو يثبت، وعلل ذلك لسببين:

أحدهما: أن حذفها مخالف لما أجمعت عليه مصاحف الأمصار.

والآخر: أن إثباتها في الوصل معدوم في لسان العرب، نظمهم ونثرهم، لا في اضطرار ولا في غيره.

وأوضح أن إثباتها في الوقف اتّباع الرسم، وموافقة لبعض مذاهب العرب، فهم يثبتون الألف في أشعارهم وتصاريعها، وأضاف أن الفواصل في الكلام كالمصارع.

٢- آراء العلماء في علة إثبات الألف.

اهتم علماء العربية على مختلف تخصصاتهم واهتماماتهم بهذه الألفات الثلاثة، ولاحظوا أن مجيء هذه الألفات جاء بشكل استثنائي غير موافق للأسلوب الذي جاءت عليه الفواصل المطلقة بالألف في سور القرآن المختلفة، حتى في السورة نفسها فقد لحقت هذه الألف الأسماء النكرة خاصة، فهي ألف منقلبة عن التنوين، وسيتضح هذا في الجدول الإحصائي للألفات التي لحقت بعض الفواصل، أقول: إن عدداً من العلماء صرحوا أن هذه الألف منقلبة عن تنوين فلا تلحق إلا ما ينون، لكن العدد الأكبر منهم لم يصرح بل اكتفى بمعرفته هو شخصياً هذا الأمر،

ولكن كلا الفريقين تصدوا لتفسير علة لحاق الألف الفواصل الثلاث التي جاءت معرفة بأل في الأحزاب.

وسأورد ملخصاً لما اطلعت عليه من أقوال العلماء مرتبة بحسب تسلسل وفياتهم، وسيكون تحليل هذه الآراء ومناقشتها في مبحث لاحق.

١-أبو زكريا الفراء (٢٠٧هـ).

ذكر الفواصل الثلاث وأنه يوقف عليها بالألف، لأن الألف مثبتة فيهن [يقصد في المصحف الإمام ومصاحف الأمصار]، وهي مع آيات الألف، وذكر أنه رآها في مصحف عبدالله بغير ألف، وذكر من يقف عليهن بغير ألف من القرّاء، وقال: إن أهل الحجاز يقفون بالألف، ولو وصلت بالألف لكان صواباً، لأن العرب تفعل ذلك(٤٨).

٢- أبو الحسن الأخفش (٢١٥هـ):

أورد الفواصل الثلاث، وقال: إن الألف تثبت فيهن، لأنهن رأس آية، وعلل ذلك أن قوماً من العرب يجعلون أواخر القوافي إذا سكتوا عليها مثل حالها إذا وصلوها، وهم أهل الحجاز.

وأضاف أن جميع العرب إذا ترنموا في القوافي أثبتوا في أواخرها (الياء) و(الواو) و(الألف)(٤٩).

٣- الطبري (٣١٠هـ):

نقل القراءات فيهن، ثم ذكر أن قراءة الألف بالوقف وحذفها في الوصل، اعتلالاً بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر وتصاريعه، فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف، ولا تفعل ذلك في حشو الأبيات.

وأضاف أنهم يفعلون ذلك في القوافي طلباً لإتمام الوزن، إذ لو لم تفعل لم يصحَّ وزن الشعر(٥٠).

٤- أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ):

نقل القراءات فيهن، وذكر أن الاختيار (السبيلا) بألف، وأن يوقف عليها، لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر الأبيات من الشعر والفواصل، لأن العرب خوطبوا بما يعقلون في الكلام المؤلف، فيدل بالوقف في هذه الأشياء، وزيادة الحروف أن الكلام قد تمّ وانقطع، وأن ما بعده مستأنف(٥١).

٥- أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ):

عرض القراءات الثلاث، وعلل مجيء الألف أنها في المصاحف كذلك، وهي رأس آية. ورؤوس الآي تشبّه بالفواصل، من حيث كانت مقاطع، كما كانت القوافي مقاطع.

واعترض على قراءة ابن كثير والكسائي بحذف الألف في الوصل، لأن ذلك في القوافي، وردّ بأن رؤوس الآي ليست قوافي، فلا ينبغي للألف أن تحذف، كما لا تُحذف الهاء من (حِسَابِيَهْ وَكِتَابِيَهْ)[الحاقة: ١٩، ٢٠] (٥٢).

٦- أبو الفتح بن جني (٣٩٢هـ):

أورد هذه الفواصل، وعلّل مجيء الألفات لإشباع الفتحة للوقوف على رؤوس الآي، وشبّهها بالوقوف على القوافي(٥٣).

٧- ابن أبي زمنين (٣٩٩هـ):

قال: وإنما صار الكلام (الرسولا) و(السبيلا)، لأنها مخاطبة، وهذا جائز في كلام العرب إذا كانت مخاطبة. قال محمد: الاختيار عند أهل العربية (السبيلا) بالألف، وأن يوقف عليها، لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر الأبيات ومصاريعها، وزيادة الحروف

تدل على أن الكلام قد تمّ وانقطع، وأن ما بعده مستأنف[٥٤].

٨- أبو بكر بن فورك (٤٠٦هـ):

علل سبب إلحاق الألف فيهن لأجل الفواصل، التي يطلب منها تشاكل المقاطع[٥٥].

٩- أبو إسحاق الثعلبي (٤٢٧هـ):

ذكر أن من قرأ بالألف في الوقف دون الوصل احتجوا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي أشعارهم، فتلحق الألف في موضع الفتح عند الوقف، ولا تفعل ذلك في حشو الأبيات، فحسن إثبات الألف في هذه الحروف لأنها رؤوس آي، تمثيلاً لها بالقوافي[٥٦].

١٠- أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ):

ذكر أن العرب تزيد وتحذف حفظاً للتوازن، وإيثاراً له، ومثّل على هذه الزيادة بفواصل سورة الأحزاب، موضوع بحثنا، ومثّل على الحذف بقوله تعالى: ﴿واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[الفجر:٤]، و﴿الكَبِيْرُ المُتَعَالِ﴾[الرعد:٩] وغيرهما، وتمثل بقول زهير: [من الرمل]

إِنَّ تَقْوى ربِّنا خَيْرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ ربّي وَعَجَلِ

فقال: أي عجلي[٥٧].

١١- مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ):

ذكر القراءات فيهنّ، ثم قال: "إنما جيء بالألف في هذا على التشبيه بالقوافي، والفواصل التي يوقف عليها بالألف يجب أن تجري مجرى ما شبهت به، وهي مع ذلك تمام، ووقف حسن".

وقيل: إنما جيء بالألفات لبيان حركة ما قبلها، كهاء السكت[٥٨].

١٢- ابن سيدة (٤٥٨هـ):

أورد الفواصل المذكورة، وعلل مجيء الألف لأنها رؤوس آي، وهي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر الأبيات، وأن العرب خوطبوا بما يعقلونه في الكلام المؤلف، فيدل الوقوف بالألف في الآيات المذكورة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف[٥٩].

١٣- تاج القرّاء (٥٠٥هـ):

ذكر القراءات، ثم قال: الغريب من وقف بغير ألف، قال: هذه الألفات بدل من الفتحة، وهكذا كان في خط حمير، الفتحة ألف، والضمة واو، والكسرة ياء، وعلى هذا وقع في القرآن موقع الحركات.

وما ذهب إليه ابن عيسى أنها للتذكير فقد أساء القول، لأنه عزّ وجلّ غير موصوف بالغلط والتذكير[٦٠].

١٤- الزمخشري (٥٣٨هـ):

ذكر القراءات، وذهب إلى أن الألفات زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة[٦١].

١٥- ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ):

ذكر أن الألف جاءت اتباعاً لخط المصحف، وعلته تعديل رؤوس الآي، وطرد هذه العلة أن يلازم الوقف، وأنهم عللوا ذلك بتساوي رؤوس الآي، على نحو ما تفعل العرب في القوافي من الزيادة والنقص[٦٢].

١٦- النيسابوري (٥٥٠هـ):

ذهب إلى أن الألف لبيان الحركة، إذ لو وُقف بالسكون، لخفي إعراب الكلمة، وكما تدخل الهاء لبيان الحركة في ﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿حِسَابِيَهْ﴾[الحاقة ٢٨، ٢٠] [٦٣].

١٧-ابن الجوزي (٥٩٧هـ):

ذكر القراءات فيهن، وعلل ذلك بقوله: "إنما فعلوا ذلك لأن أواخر الآي عندهم فواصل، يثبتون في آخرها الألف في الوصل"[٦٤].

١٨- الرازي (٦٠٦هـ):

ذهب إلى أن الألف زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة... فيشبه ذلك بالقوافي[٦٥].

١٩- ابن عصفور (٦٦٩هـ):

قال: "اعلم أن الشعر لما كان كلاماً موزوناً يخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجاز العرب فيه ما لا يجوز في الكلام، لأنه موضع ألفت فيه الضرائر. وألحقوا الكلام المسجوع في ذلك بالشعر، لما كانت ضرورة أيضاً في النظم".

وقال: "ومن ذلك فواصل القرآن، لتتفق"، قال تعالى: ﴿فأضلونا السبيلا﴾ و﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾. فزيادة الألف فيها بمنزلة الألف في الشعر، على جهة الإطلاق[٦٦].

٢٠- القرطبي (٦٧١هـ):

ذكر أن الوقوف عليها بالألف. قالوا: لأن العرب تفعل ذلك في قوافي أشعارهم ومصاريعها[٦٧].

٢١- النسفي (٧١٠هـ):

ذكر أن الألف للإطلاق، وأن إثباتها لتعديل رؤوس الآي، لأنها كالقوافي[٦٨].

٢٢- أبو حيان (٧٤٥هـ):

تحدث عن هذه الألفات، وذكر اختيار أبي عبيد والحذّاق أن يوقف على هذه الكلمات بالألف، ولا يوصل، فيحذف أو يثبت، لأن حذفها مخالف لما اجتمعت عليه مصاحف الأمصار، ولأن إثباتها في الوصل معدوم في لسان العرب، نظمهم ونثرهم، لا في اضطراد، ولا غيره.

وأما إثباتها في الوقف ففيه اتباع الرسم، وموافقة لبعض مذاهب العرب، لأنهم يثبتون هذه الألف في قوافي أشعارهم، وفي تصاريعها، والفواصل في الكلام كالمصارع.[٦٩]

٢٣- السمين الحلبي (٧٥٦هـ):

نقل القراءات فيهن، ثم قال: "وقولهم أجريت الفواصل مجرى القوافي" غير معتدّ به، لأن القوافي يلزم الوقف عليها غالباً، والفواصل لا يلزم ذلك فيها، فلا تشبه فيها، وأضاف أنّ إجراء الفواصل في الوقف مهيع معروف، كقوله: ﴿الظنونا﴾[٧٠].

٢٤- ابن عادل (٧٧٥هـ):

ذكر الألفات المذكورة، وقال: إنما هي إشباع أتي بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي[٧١].

٢٥- الزركشي (٧٩٤هـ):

عدّ الزركشي إلحاق الألف بهن خروجاً عن موضع الكلام، لأجل الفاصلة، وذكر اثني عشر موضعاً زعم أن الكلام عليها خرج لأجل الفاصلة، أولها هذه الألفات، ضمن حديثه عن زيادة أحرف لأجل الفاصلة، وعلل ذلك أن مقاطع هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد الألف على النون لتساوي المقاطع، ولتناسب نهايات الفواصل، وأطلق على مواضع الخروج التي ذكرها إيقاع المناسبة، قال: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متاكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه في اليقين من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها مواضع"[٧٢].

٢٦- ابن الجزري (٨٨٣هـ):

نقل القرءات في الفواصل المذكورة دون تعليق، سوى قوله: "واتفقت المصاحف على رسم الألف فيهن"(٧٣).

٢٧- السيوطي (٩١١هـ):

نقل أن الشيخ شمس الدين الصائغ ألف كتاباً في الفاصلة، أسماه "إحكام الرأي في أحكام الآي"، وأورد قوله: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يرتكب لها أمور مخالفة للأصول" وأن الشيخ الصائغ أوصل الأحكام التي تقع في آخر الآي مراعاة للمناسبة إلى نيّف وأربعين موضعاً.

ذكر السيوطي أربعين موضعاً منها، كان موضوع بحثنا زيادة حروف المدّ الموضع التاسع منها(٧٤).

٢٨- الشوكاني (١٢٥٠هـ):

أورد القراءات فيهن، ثم أشار إلى قراءة الألف في الوصل، فذكر أنّ أبا عبيد اختارها، لكنه نقل قول أبي عبيد: لا ينبغي للقارئ أن يدرج القراءة بعدهن، بل يقف عليهن.

وذكر أنهم تمسكوا بما في أشعار العرب من مثل هذا... وقالوا : هي من زيادات الخط، فلا ينبغي النطق بها.

ثم قال: وهذه الألف تسميها النحاة ألف الإطلاق، والكلام فيها معروف في علم النحو(٧٥).

٢٩- أبو الثناء الآلوسي (١٢٧٠هـ):

أورد القراءات فيهن، ثم قال: الفواصل في الكلام كالمصاريع، ونقل قول أبي علي: "إن رؤوس الآي تشبه بالقوافي، من حيث كانت مقاطع، كما كانت القوافي مقاطع"، واستنتج الآلوسي أن الألفات جاءت للإطلاق[٧٦].

٣٠- ابن عاشور (١٣٩٣هـ):

نقل القراءات، وتحدث عن هذه الألف، وعدّها للإطلاق لأجل الفواصل، وهي عنده مثل ألف ﴿لا تخشى﴾ في قوله تعالى: ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾[طه: ٧٧]، وذكر أن الإجماع ورد في إثبات الألف فيها، وهي أيضاً للإطلاق، على رأي من يرى أن (لا) فيها ناهية[٧٧].

٣١- الإبياري (١٤١٤هـ):

ذكر القراءات، وقال: والمناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرّد واقعة، من ذلك زيادة حرف، ولهذا لحقت الألف في قوله تعالى:﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾، لأن مقاطع هذه الفواصل ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع.

وأضاف أن هذه الألفات لا تثبت معنى، وإنما ذلك لإصلاح اللفظ[٧٨].

المبحث الثاني: تحليل الآراء ومناقشتها في ضوء كلام العرب وقوافي الشعر:

عند استعراض الآراء المتقدمة الذكر التي أوردها علماء العربية، على مختلف أزمانهم وتخصصاتهم نجدهم يكادون يتفقون على أن رؤوس الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في آخر الأبيات.

وهذا كلام كبير يقتضي من الباحث التماس المواضع التي تجري فيها الفواصل مجرى القوافي، بعقد دراسة لكل منهما، للوقوف على حقيقة ذلك، لكن الذي يعنينا في هذا البحث موضوع ألفات سورة الأحزاب (السبيلا، الرسولا، الظنونا)، التي جاءت في نهايات الفواصل، لهذا

سأتحدث عن كيفية مجيء ألفات الإطلاق في كل من قوافي الشعر وكلام العرب وفواصل القرآن لنقف على حقيقة هذه المقولة.

أولاً: الألف في قوافي الشعر:

من المعلوم أن قوافي الشعر لا تنتهي إلا بمقطع طويل، والمقطع الطويل في علم العروض هو الذي يتألف من حرفين الأول متحرك والثاني ساكن(٧٩).

ولما كانت حركة حرف الروي المتحرك لا تخلو من أن تكون ضمة أو كسرة أو فتحة، وحروف الروي بهذه الحركات لا تشكل إلا مقاطع قصيرة، اقتضى إشباع هذه الحركات للحصول على المقاطع الطويلة، فتشبع الضمة بالواو، وتشبع الكسرة بالياء، والفتحة بالألف، والألف تظهر عادة في الرسم الإملائي وفي خط العروض، أما الواو والياء فلا تظهران في الرسم الإملائي ما لم تكونا جزءاً من آخر القافية، وتظهران في الخط العروضي.

الذي يهمنا من هذا الحديث هو الألف موضوع بحثنا، فلو استقرأنا قوافي الشعر التي يأتي فيها حرف الروي مفتوحاً لوجدنا أن الألف تأتي لإشباع هذه الفتحة وسواء في ذلك أن تقع في القوافي أسماء نكرة أو معرفة بأل أو أسماء أعلام منصرفة أو ممنوعة من الصرف، معربة أو مبنية، أو أن تقع في القوافي أفعال مفتوحة الآخر، معربة أو مبنية.

وهذا الأمر معروف معلوم، وسأورد أمثلة من قواف لحقتها الألف المذكورة، لترى التنوع المذكور.

١–من مقطوعة لامرئ القيس: [من الوافر] (ديوانه: ص٥٥)

ألا أبْلِغْ بَني حُجْر بنِ عَمْرو وأبْلِغْ ذلك الحيَّ الجديدا
بأنِّي قَدْ هَلَكْتُ بأرضِ قومٍ بعيداً من دياركُمُ بَعِيدا
ولو أنِّي هَلَكْتُ بأرْضِ قَوْمِيْ لَقُلْتُ المَوْتُ حَقٌّ لا خُلُودَا
أُعالِجُ بالمنيَّةِ كُلَّ يومٍ وأجدَرُ بالمنِيَّةِ أن تَقُودا

٢– وقال أيضاً [من الطويل] [ديوانه: ص٥٩]

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بعدما كَان أَقْصَرَا وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنِ قَوٍّ فَعَرْعَرا
وَكانَ لها في سالِفِ الدَّهْرِ خُلَّةٌ يُسَارِقُ بالطَّرْفِ الخِبَاءَ المُسَتَّرَا
عليها فتىً لم تَحْمِلِ الأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِميثاقٍ وأَوْفَى وأَصْبَرَا
بَكَى صاحِبي لمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وأَيْقَنَ أَنَّا لاحِقانِ بقَيْصَرا
فقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنُك إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَمُوتَ فَنُعْذراً

٣- وقال أيضاً [من الطويل] [ديوانه: ص٨١]:

أَبْلِغْ بَني زَيْدٍ إذا ما لَقِيْتَهُمْ وأَبْلِغْ بَني لُبْنَى وأَبْلِغْ تُمَاضِرا

٤- وقال أيضاً [من الوافر] [ديوانه: ص١٥٠-١٥١]:

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أنَّ الدَّهْرَ غَوْلٌ خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالا
أزالَ عنِ المصانِعِ ذا رِياشٍ وقد مَلَكَ السُّهُولَةَ والجِبَالا
وأَنْشَبَ في المَخَالِبِ ذا مَنارٍ وللزِّرادِ قد نَصَبَ الجِبَالا
فَإِنْ تَهْلِكْ شَنُوءَةُ أو تُبَدَّلْ فَسِيري إنَّ لِيْ غَسَّان خَالا
بِعِزِّهُمُ عَزَزْتُ فَإِنْ يَذِلُّوا فَذُلُّهُمُ أنالَكَ ما أنالا

٥- وقال أوس بن حجر: [من الكامل] [ديوانه: ص٥٣]:

حُلَّتْ تُمَاضِرُ بَعْدَنا رَبَبَا فالْغَمْرَ فالْمُرَّيْنِ فالشُّعَبَا
حَلَّتْ شآمِيَةً وحَلَّ قَسَاً أَهْلِي فكانَ طِلابُها نَصَبا

٦-وقال أيضاً[من المنسرح] [ديوانه: ص١]:

أيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعاً إنَّ الذي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وازْدَحَمَتْ حَلْقَتَا البِطانِ بِأَقْوامٍ وَطَارَتْ نُفُوسُهُمْ جَزَعاً
أوْدَى وهل تَنْفَعُ الإِشاحَةُ مِنْ شَيْءٍ لِمَنْ قَد يُحاوِلُ البِدَعا

٧–وقال زهير بن أبي سلمى [من الطويل] [ديوانه: ص٥٨]:

أَبَتْ ذِكَرٌ مِنْ حُبِّ لَيْلى تَعُودُنِي ... عِيادَ أَخِي الحُمَّى إذا قُلْتُ أَقْصَرا
كَـأَنَّ بِغُـلاّنِ الرُّسَـيْسِ وعاقِـلٍ ... ذُرَى النَّخْلِ تَسْهُو والسَّفينَ المُقَبَّرا
ومُسْتَأسِـد يَنْـدَى كـأَنَّ ذُبابَـهُ ... أَخُوْ الخَمْرِ هَاجَتْ حُزْنَهُ فَتَذَكَّرا
تَرَكْتُ به مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مَوْضِعِي ... فِرَاشِـي ومُلْقَـايَ النَّقِيشَ المُشَـمَّرا

٨– وقال أيضاً [من البسيط] [ديوانه: ص٧٢]:

إنَّ الخَلِـيطَ أَجَـدَّ البَـيْنَ فانْفَرَقـا ... وعُلِّقَ القَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقا
وخَلْفَها سَائِقٌ يَحْدُو إذا خَشِيَتْ ... منـهُ اللَّحـاقَ تَمُدُّ الصُّلْبَ والعُنُقا
قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرَمٍ ... والسَّـائلوَن إلـى أَبْوَابِـهِ طُرُقـاً
إنْ تَلْقَ يوماً على عِلاتِهِ هَرِما ... تَلْـقَ السَّماحَةَ منـهُ والنَّدَى خُلِقا

٩– وقال عمر بن أبي ربيعة [من الطويل] [ديوانه: ص٥٣]:

خَلِيلَيَّ عُوْجاً حَيِّيَا اليَوْمَ زَيْنَباً ... ولا تَتْرُكـاني صـاحِبَيَّ وتَـذْهَبا
إذا ما قَضَيْنَا ذاتَ نَفْسٍ مُهِمَّةٍ ... إليها وقَرَّتْ بالهَوى العَيْنُ فاركَبَا
فقد باعَدَتْ نَفْساً عَلَيْها شَفِيقةً ... وقَلْباً عَصَا فيها المُحِبَّ المُقَرَّبَا
فَلا مَرْحَباً بالشَّامِتِيْنَ بِهَجْرِنَا ... ولا زَمَـنٍ أَضْـحى بنـا قَـدْ تَقَلَّبَا

١٠– وقال أيضاً : [من الخفيف] [ديوانه: ص٨٣]:

أَرْسَـلَتْ خُلَّتِـي إِلَـيَّ بِأَنَّـا ... قـد أُتِيْنـا بـبعضِ مـا قـد كَتَمْنَـا
وهَجَرْتَ الرَّبابَ مِنْ حُبِّ سُعْدَى ... ونَسِـيْتَ الـذي لَهـا كُنْـتَ قُلْتَـا
ثـمَّ لـم تُـوفِ إذْ حَلَفْـتَ بِعَهْـدٍ ... بِـئْسَ ذو مَوْضِـعِ الأمانَـةِ أَنْتَـا

١١– وقال أيضاً: [من الرمل] [ديوانه: ص٢٥٥]:

أَرْسَـلَتْ أَسْـمَاءُ إِنَّـا ... قَدْ تَبَدَّلْنا سِواكا

بـدلاً فاسـتغنِ عَنّـا بدلاً يُغْني غَنَاكا
لن تَرَى أسْماءَ حتَّى تَبْلُغَ النَّجْمَ يَداكا

وبعد الذي تقدم يمكننا ملاحظة أن ألف الإطلاق قد جاءت في الشعر لتلحق كل حرف روي مفتوح.

فقد لحقت في الأمثلة المتقدمة الاسم المعرّف بأل في القوافي: (الجديدا، المُستَرَّا، الرِّجالا، الجبالا، الشُّعَبَا، البِدَعا، المُقبّرا، المُشَمَّرَا، المُقرَّبا، العُنُقا).

ولحقت من المعارف أيضاً أسماء الأعلام في القوافي: (عَرْعَرَا، تُمَاضَرا، قَيْصَرا).
ولحقت الضمير المبني على الفتح في : (كَتَمْتَا، قُلْتَا، أَنْتَا)، والضمير كاف المخاطب المبني على الفتح في القوافي: (سِوَاكَا) و(غَنَاكَا).

ولحقت بالأسماء النكرات: (بعِيْداَ، خُلُوْدَاً، نَصَبَاً، جَزَعاً، طُرُقَاً، خَالاً).

ولحقت الأفعال مفتوحة حرف الروي بناء أو إعرابا: (أَنَالاَ، وَقَعَا، أَقْصَرَا، تَذَكَّرَا، عَلِقَا، خُلِقا، تَقُوْرَا، فنُعْذَرَا، وتَذْهَبا، ارْكَبَا).

وهكذا هو بناء القوافي أنَّ الألف تلحق كل حرف روي مفتوح في دواوين الشعراء المختلفة.

ثانياً: الألف في كلام العرب وخطبهم.

إذا تأمنا الأمثلة النثرية التي وصلت إلينا من خطب العرب وكلامهم فسنجد لألف الإطلاق مساراً آخر، يلتقي مع قوافي الشعر في جوانب ويخالفها في جوانب أخرى، وسأورد أمثلة نثرية من العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي، لنقف على طريقة تعامل النثر مع هذه الألف، عندما يقفون على ما هو مفتوح الآخر:

١-من خطبة للمأمون الحارثي:

"... وَمَطَرٌ يُرْسَلُ بِقَدَر، فَيُحْيِي البَشَرَ، ويُطْلِعَ الثَّمَرَ، ويُنْبِتُ الزَّهَرَ، وَماءً يَتَفَجَّرُ مِنَ الصَّخْرِ الأَبَرّ، فيَصْدَعُ المَدَرَ.. فيُحْيِي الأَنَامَ، ويُشْبِعُ السَّوَامَ، ويُنْمِي الأَنْعَامَ..." [٨٠].

٢-**ومن خطبة لأبي طالب في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة:** ".. الحَمْدُ للهِ الذي جَعَلَنا من زَرْعِ إبْراهيمَ وذُرِّيَةِ إسماعيلَ، وَجَعلَ لنا بلداً حَراماً، وبَيْتاً مَحْجُوجاً، ... ثم أن محمدَ بنَ عبدالله بنَ أخي، مَنْ لا يُوازَنُ به فتىً مِنْ قُرَيْش إلا رَجَحَ عَليه برّا وفَضْلاً، وكَرَماً وعَقْلاً، ومَجْداً ونُبْلا..." [٨١].

٣- **ومن خطبة لأبي بكر:** "فهو يُحْسَدُ على القَلِيلِ، ويَتَسَخَّطُ الكَثِيرَ، وسَتَرَوْنَ بَعْدي ملكاً عَضُوضاً، وأمَّةً شِعاعاً، ودماً مُفَاحاً، فإنْ كانت للباطلِ نَزْوَةٌ، وللحق جَوْلَة... فالزَمُوا المساجِدَ، واستشيروا القرآنَ، والزموا الجماعة...".

٤-**ومن خطبة لعمر**، حين شيع جيش سعد بن أبي وقاص[٨٢]: "... إنَّ الله تعالى إنَّما ضَرَبَ لَكُم الأمثالَ، وصَرَّفَ لكم الأقوالَ، ليُحْيِيَ بها القلوبَ،...".

٥- **ومن خطبة لعُطارد بن الحاجب** بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحمدُ للهِ الذي له علينا الفضلُ، وهو أهْلُهُ، الذي جعلنا مُلوكاً، ووهبَ لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروفَ.."[٨٣].

٦- **ومن خطبة طَهْفَة بن أبي زُهير النجديّ** بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رسولَ الله إنَّا أتَيْنَاكَ من غَوْرَى تِهامة، بأكوارِ المَيْسِ، ترمي بنا العيسُ، نَسْتَحْلِبُ الصَّبِيْرَ، ونَسْتَجْلِبُ الخَبِيْرَ، ونَسْتَعْضِدُ البَرْيَرَ، ونَسْتَخِيلُ الرِّهامَ، ونَسْتَحيلُ الجِهام..." [٨٤].

٧- **ومن حوار بين عبدالله بن هاشم بن عُتبة، ومعاوية،** قال عبدالله: "... إذا غَمَزَك أقوامٌ لَمْ يُعَنِّفُوا صِغاراً، ولم يُمَزِّقُوا كِباراً ، لهم أيْدٍ شِدادٌ، وأَلْسِنَةٌ حِدادٍ، يَدْعَمون العَوَجَ، ويُذْهِبُونَ الحَرَجَ، ويُكْثِرُونَ القليلَ، ويَشفون الغَليلَ، ويُعِزّون الذَّليلَ..." [٨٥].

وبعد هذه الأمثلة المقتبسة من النصوص النثرية نلاحظ أن الكلمات التي جاءت أواخرها مفتوحة على نوعين؛ أحدهما: النكرات، وقد لحقتها ألف الإطلاق التي يسمونها الألف المنقلبة

عن تنوين، وهي: (حَراماً، محجوجاً، فَضْلاً، عَقْلاً، نُبْلاً، عَضُوضاً، شِعاعاً، مُفاحاً، مُلوكاً، عِظاماً، صِغاراً، كِباراً).

والآخر: المعارف المقترنة بأل التعريف، ومنها أسماء أعلام ممنوعة من الصرف، لم تلحقها ألف الإطلاق، وبقيت على فتحتها التي يُوقف عليها بالسكون، وهي (البَشَرَ، الثَّمَرَ، الزَّهَرَ، المَدَرَ، الأنامَ، السَّوامَ، الأنْعامَ، إبراهيمَ، إسماعيلَ، الكثيرَ، المساجدَ، القرآنَ، الأمثالَ، الأقوالَ، القلوبَ، المعروفَ، الصَّبيرَ، الخَبيرَ، البربرَ، الرِّهامَ، الجهامُ، العَوَجَ، الحَرَجَ، القليلَ، الغليلَ، الذليلَ).

وبهذا يكون النثر قد وافق الشعر في إلحاق الألف بما ينوّن، لكنه فارقه في المعرّفات بأل، فبقيت على فتح آخرها، ويكون الوقف عليها بالسكون.

ثالثاً: ألف الإطلاق في فواصل القرآن:

للحديث عن هذا الموضوع يلزمنا أن نعرض إحصاء أجريته لعد الفواصل المطلقة بالألف، وإحصاء للفواصل المفتوحة الآخر التي لم تلحقها الألف، ثم الانتقال إلى تحليل هذين النوعين:

١-الفواصل التي لحقتها الألف.

التسلسل	تسلسل السورة في المصحف	اسم السورة	عدد آياتها	عدد المطلقة منها بالألف	نوعها	نسبتها المئوية
١	٤	النساء	١٧٦	١٧٠		%٩٦.٥
٢	١٨	الكهف	١١٠	١٠٩	=	%٩٩.٩
٣	١٩	مريم	٩٨	٩١	=	%٩٤.٧
٤	٢٠	طه	١٣٥	٣	=	%٢.٢
٥	٢٥	الفرقان	٧٧	٧٦	=	%٩٨.٧
٦	٣٣	الأحزاب	٧٣	٧٢	أسماء نكرة عدا ثلاثة معرفة بأل	%٩٨.٦
٧	٣٥	فاطر	٤٥	٧	=	%١٥.٥

٨	٤٨	الفتح	٢٩	٢٩	أسماء نكرة عدا ثلاثة معرفة بأل	%١٠٠
٩	٥١	الذاريات	٦٠	٤	=	%٦.٦
١٠	٥٢	الطور	٤٩	٣	=	%٦.١
١١	٥٣	النجم	٦٢	١	=	%١.٦
١٢	٥٦	الواقعة	٩٦	٨	=	%٨.٣
١٣	٦٥	الطلاق	١٥	١١	=	%٧٣.٣
١٤	٧٠	المعارج	٤٤	٧	=	%١٥.٩
١٥	٧١	نوح	٢٨	٢٥	= عدا واحدة اسم علم	%٨٩.٢
١٦	٧٢	الجن	٢٨	٢٨	=	%١٠٠
١٧	٧٣	المزمل	٢٠	١٨	=	%٩٠
١٨	٧٤	المُدَّثر	٥٦	٦	=	%١٠.٧
١٩	٧٦	الإنسان	٣١	٣١	=	%١٠٠
٢٠	٧٧	المرسلات	٥٠	٩	=	%١٨
٢١	٧٨	النبأ	٤٠	٢٥	=	%٦٢.٥
٢٢	٧٩	النازعات	٤٦	٥	=	%١٠.٨
٢٣	٨٠	عبس	٤٢	٧	=	%١٦.٦
٢٤	٨٤	الإنشقاق	٢٥	٦	=	%٢٤
٢٥	٨٩	الفجر	٣٠	٣	=	%١٠
٢٦	٩٤	الإنشراح	٨	٢	=	%٢٥
٢٧	١٠٠	العاديات	١١	٥	=	%٤٥.٥
٢٨	١١٠	النّصر	٣	٢	=	%٦٦.٦

٢- فواصل مفتوحة الآخر لم تلحقها الألف، وتلحق نظائرها في القوافي:

أورد فيما يأتي الفواصل التي أحصيتها في سور القرآن، من الأسماء المفتوحة الآخر المعرفة بأل ومن الأفعال المفتوحة الآخر بناء أو إعراباً، ولم تلحقها ألف الإطلاق كما تلحق نظائرها في القوافي.

وقد أحصيت من الأسماء خمس عشرة فاصلة، (السَّبيلَ، النساء ٤٤)، و(السَّبيلَ: الأحزاب ٤)، و(الميعادَ: الزمر ٢٠)، و(الفسادَ: غافر ٢٦)، و(الأليمَ: والعَقيمَ: الذّاريات ٣٧، ٤٠)، و(الحُلْقُوم والبُطون: الواقعة ٣٣، ٥٣)، و(الأَكْبَرَ: الغاشية ٢٤)، و(الفسادَ واليَتِيمَ: الفجر ١٢، ١٧)، والمقابِرَ والجَحِيْمَ: التكاثر ٢، ٦)، واليَتِيمَ والماعُونَ: الماعون ٢، ٧)، و(الكَوْثَرَ: الكوثر ١).

أمَّا من الأفعال فقد أحصيت عشرين، جاءت فواصل مفتوحة الآخر، بناءً أو إعراباً، ولم تلحقها الألف، كما تلحق نظائرها في القوافي، وهي: (أَنَابَ: ص ٢٤)، و(أَزِيْدَ: المُدَّثر ١٥)، و(نَظَرَ: المُدَّثر ٢١)، و(قَدَرَ: المُدَّثر: ١٨، ١٩، ٢٠)، و(بَسَرَ: المُدَّثر ٢٢)، و(اسْتَكْبَرَ: المُدَّثر ٢٣)، و(أَدْبَرَ: المُدَّثر ٣٣)، و(يَتَأَخَّرَ: المُدَّثر ٣٧)، و(عَسْعَسَ: التكوير ١٧)، و(تَنَفَّسَ: التكوير ١٨)، و(يَسْتَقِيمَ: التكوير ١٢٨)، و(يَحُورَ: الإنشقاق ١٤)، و(وَسَقَ: الإنشقاق ١٧)، و(اتَّسَقَ: الإنشقاق ١٨)، و(كَفَرَ: الغاشية ٢٣)، و(خَلَقَ: الإخلاص ٢)، و(وَقَبَ: الإخلاص ٣)، و(حَسَدَ: الإخلاص ٤).

كذلك ورد في بعض الفواصل الضمير (كاف المخاطب)، وهو مبني على الفتح، ولم تلحقه ألف الإطلاق التي تلحق نظيره في قوافي الشعر، وهذه الفواصل هي: (صَدْرَكَ، وِزْرَكَ، ظَهْرَكَ، ذِكْرَكَ) (الشرح: ١، ٢، ٣، ٤).

فضلاً عن مئات الفواصل المردفة بالياء أو الواو، التي جاءت مفتوحة الآخر وسيأتي عددها لاحقاً، معظمها جاء على صيغة جمع المذكر السالم، وصيغتي الأفعال الخمسة المسندة إلى واو الجماعة مع ثبوت النون، لم تطلق هذه الفواصل بالألف، وهي يوقف عليها بالسكون، وهذا مطابق لما عليه خطب العرب وكلامهم، ومخالف لما عليه قوافي الشعر التي تطلق بالألف كل الصيغ المذكورة.

٣- تحليل الجدول الإحصائي والفواصل المفتوحة الآخر التي لم تلحقها ألف الإطلاق:

من خلال قراءة المعلومات الإحصائية التي وردت يمكن أن نستخلص منها نتائج متعددة، وسأقتصر على النتائج التي تخص هذا البحث، ،هي:

١- بلغ مجموع الفواصل المطلقة بالألف (٧٦٣)، تبلغ نسبتها ١٢.٢% من مجموع فواصل القرآن.

٢-الألف في كل هذه الفواصل منقلبة عن تنوين فلم تلحق إلا ما هو منوّن، عدا فواصل سورة الأحزاب الثلاث موضوع البحث.

٣- لم تلحق ألف الإطلاق خمس عشرة فاصلة جاءت مفتوحة الآخر، معرفة بأل التعريف. وعشرين فاصلة، هي أفعال مفتوحة الآخر إعراباً أو بناءً، كذلك لم تلحق أربع فواصل تنتهي بكاف الخطاب المبني على الفتح، ولم تلحق كذلك فواصل النون المفتوحة، التي يوقف عليها بالسكون، التي جاءت على صيغ أمثلة الأفعال الخمسة أو جمع المذكر السالم، وقد بلغ عددها – بحسب إحصاء الباحث- (٢٩٢٣) فاصلة، وهكذا كله يوضح لنا:

أ- أن هذه الفواصل جاءت موافقة لما عليه كلام العرب وخطبهم، حيث يوقف عليها جميعاً بالسكون دون أن تلحقها ألف الإطلاق.

ب- أن هذه الفواصل جاءت كلها غير موافقة لما عليه قوافي الشعر، غير المقيدة التي تطلق هذه الفواصل جميعاً بألف الإطلاق.

ج- يستثنى من ذلك الألفات المنقلبة عن التنوين، فقد اشترك فيها الفواصل وكلام العرب وخطبهم وقوافي الشعر.

وبعد هذا كله يمكننا أن نستنتج أن الفواصل المطلقة بالألف هي أقرب إلى كلام العرب وخطبهم منها إلى قوافي الشعر، وقد مرت بنا أمثلة متعددة من خطب العرب وكلامهم، أوضحت طريقة الوقوف على نهايات الجمل التي يوقف عليها.

وبهذا تكون لفواصل القرآن –فيما يخص بحثنا في ألف الإطلاق- شخصية مستقلة، فلا هي تابعة لقوافي الشعر، ولا هي مقلدة للسجع، فجاءت محاكية لكلام العرب وخطبهم. وهذا يعزز المقولة التي اتفقت عليها آراء العلماء بأن القرآن خاطب العرب بما يعقلونه.

المبحث الثالث: أي الآراء أكثر قبولاً في تفسير مجيء الفات (الظنونا، السبيلا، الرسولا):

سبق أن عرضنا أهم الأقوال التي اطلعنا عليها بعد البحث والتحري في تفسير مجيء الألفات المذكورة، وعند تدقيق هذه الآراء يمكننا أن نقسمها إلى أقوال ليست ذات صلة مباشرة بمشكلة البحث، وأقوال تتصل بشكل مباشر لكنها غير مقنعة من وجهة نظر الباحث ، وأقوال أخرى تتصل بشكل مباشر، هي أكثر قبولاً وإقناعاً في ذلك، وسأتحدث عن كل من هذه الأقوال:

١- أقوال صلتها غير مباشرة بالموضوع:

تحدثت هذه الأقوال عن تشبيه الفواصل بقوافي الشعر ومصاريعه، وهذا يشمل فواصل القرآن بأنواعها المختلفة المطلقة منها بالألف وغير المطلقة. وبقدر تعلق الأمر بالقوافي المطلقة التي تقع ضمن مشكلة البحث، لم نر أية صلة تربط الفواصل بقوافي الشعر فيما قدمناه من الفواصل التي جاءت مفتوحة الآخر ، سواء أ معرفة كانت أم ضمائر أم أفعالاً، حيث لم تلحق أياً منها ألف الإطلاق التي تلحق نظائرها في قوافي الشعر، والصلة الوحيدة هي الألف المنقلبة عن تنوين، وهي موجودة بشكل مشترك في الفواصل وقوافي الشعر وكلام العرب وخطبهم كما تقدم.

وقد شذّت الفواصل الثلاث موضوع البحث عن نظيراتها الفواصل المعرفة بأل بلحاق الألف فيها، فإن كانت مقولة إن الفواصل تشبّه بقوافي الشعر ومصاريعه هي التي تفسر لنا سبب مجيء الألفات في فواصل الأحزاب الثلاث فلماذا لم تلحق الألف مثيلاتها الفواصل الأخرى، التي سبق ذكرها، ولا سيما ما جاء منها ضمن سياق فواصل مطلقة بالألف؟ وسيأتي ذكرها.

ويأتي الرد أيضاً على من زعم أن لحاق الألفات المذكورة كان لغرض حفظ التوازن، فإن كان الأمر كذلك فلماذا لم يحفظ هذا التوازن في الأقل في الفواصل التي لم تلحقها الألف في سور النساء والأحزاب والفرقان التي سيرد ذكرها؟ مع التذكير أن القرآن غير ملزم بحفظ التوازن الذي يقع في القوافي، لأن القرآن ليس شعراً.

وبعضهم ذهب إلى أن الألف لبيان حركة الفاصلة، إذ لو وُقف عليها بالسكون لخفي إعراب الكلمة، وهذا رأي غريب إذ لو كان الأمر كذلك كيف اهتدى علماء العربية إلى إعراب الكلمات المفتوحة الآخر، مما لم تلحقه الألف؟

والغريب أيضاً، ما نقله تاج القراء عن ابن عيسى أن الألف للتذكير، وقد ردّ عليه بأنه أساء القول، لأنه عزّ وجل غير موصوف بالغلط والتذكير، وقد سبق ذكر كلام تاج القرّاء.

وذكروا من فوائد الألف أنها تدل على أن الكلام انتهى وانقطع، وأنّ ما بعده مستأنف.

واستغرب بعضهم عن وصل بغير ألف في إحدى القراءات التي سبق ذكرها، في فواصل الأحزاب الأحزاب الثلاث، معلّلا هذه الغرابة أن الألفات بدل الفتحة، مستنداً إلى خط حمير، حيث ذكر أن الألف فيه رسم للفتحة، وأن الياء رسم للكسرة وأن الواو رسم للفتحة.

٢-أقوال صلتها مباشرة بالموضوع والرأي الأكثر قبولاً وإقناعاً:

لعل أبرز من وصل إلينا أقوالهم في هذا الموضوع الزركشي (٧٩٤هـ)[٨٦]، حينما تحدث بشكل مفصل عن الفاصلة، وعن ما أسماه بإيقاع المناسبة قال: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مواقع الفواصل حيث تطّرد مُتَأكَّد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه في اليقين من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نسق الكلام من أجلها مواضع...".

وقد أوصل الزركشي هذه المواضع إلى اثني عشر، والذي يخص البحث هو الموضع الأول منها، وهو زيادة حرف لأجل الفاصلة، قال: "ولهذا ألحقت الألف بـ (الظنون) في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾[الأحزاب: ١٠]، لأن مقاطع هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل"، وذكر مثله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ و﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾[الأحزاب: ٦٦، ٦٧].

ونقل لنا الزركشي أن بعض المغاربة – ولم يُسَمِّه– أنكر هذا التفسير في أسباب إلحاق الألف، بقوله: "لم تُزَد الألف لتناسب رؤوس الآي– كما قال قوم– لأنّ في سورة الأحزاب : ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[الأحزاب: ٤]، وفيها ﴿فأضلونا السبيلا﴾، وكل واحد منها رأس

آية، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالة أخرى، غير تلك، في الثاني دون الأول، فلو كانت لتناسب رؤوس الآي لتثبت في الجميع".

قال: "وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك".

ولفظة (قال) لا توضح لنا بشكل جلي، هل القول للمغربي أم هو للزركشي نفسه، وقد عودنا العلماء عندما يتحدثون عن رأيهم يذكرون عبارة (قال) ويقصدون به أنفسهم. لكن المرجح أنه للمغربي، لأن من المستبعد أن يرد الزركشي عن نفسه.

ولعل صاحب الرأي المذكور أيقن أن تفسير العلماء لهذه الحالة لم يكن مقنعاً، ولا يتعلق بهذه المسألة بشكل مباشر، لذلك كان مصيباً في استدراكه أن الأسباب التي ذكروها تقتضي أيضاً إطلاق الألف في الآية الرابعة من السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، فلماذا لم تطلق هنا؟ والأسباب التي ذكروها هي نفسها قائمة في (السبيلَ) التي بقيت على فتحها دون أن تتساوى فيها المقاطع أيضاً، أو أن يُشبع فتحها أيضاً.

ومن الردّ المرجح أنه للمغربي يأتي في الحسبان أن التفريق بين الحالتين ربما يقصد به الاختلاف الدلالي في كل منهما، وسنقف على هذا لاحقاً.

والغريب أني على كثرة التحري لم اهتد إلى من استدرك على تفسير العلماء عدم إلحاق الألف بـ (السبيلَ) وهي مفتوحة في الآية الرابعة من السورة نفسها غير ما نقله الزركشي عن المغربي الذي لم يُسمِّه، وغير ما وجدته عند ابن عادل (٧٧٥هـ) المعاصر للزركشي، في تفسيره (اللباب)[٨٧]، حيث استدرك الآية المذكورة، واستدرك كذلك مجيء (السبيلَ) مفتوحة في [الآية ١٧] من سورة الفرقان، وهي أيضاً سورة جاءت فواصلها بألف الإطلاق، وهما رأس آية.

ويُضيف الباحث استدراكه على مجيء اللفظة (السبيلَ) رأس آية في سورة النساء [٤٤]، وهذه السورة أيضاً من السور المطلقة بالألف في معظمها، وقد وقعت (السبيلَ) بين فواصلها المطلقة فبقيت على فتحتها ولم تلحقها الألف.

والغريب أن المواضع الثلاثة المستدركة وقعت فيها نفس اللفظة (السبيل) رأس آية، ولم تلحقها الألف.

والذي نود أن نبيّنه هنا أن المشكلة ليست في المواضع الثلاثة المستدركة حَسْب، فقد بيّنا أن الفواصل جاءت على سنن خطب العرب وكلامهم، وحيث لم تلحق الألف الكلمات مفتوحة الآخر المعرفة بأل في خطب العرب وكلامهم لم تلحقها أيضاً في هذه الفواصل، وكل الفواصل الأخرى المعرفة بأل المفتوحة الآخر، وقد تقدم إحصاؤها، فنرى إذاً أن الفواصل المستدركة جاءت على الأصل.

فالمشكلة إذا في استثناء الفواصل الثلاثة موضوع البحث من ذلك، حينما لحقتها ألف الإطلاق وهي معرفة بأل.

وإذا عزّ علينا أن نلتمس ذلك في جميع الأسباب الفنية التي ذكرها العلماء فلا بد لنا أن نلتمس السبب في المعنى الدلالي للآيات التي وقعت الفواصل (الظنونا، السبيلا، الرسولا) رؤوساً لها.

ولعل أول بوادر التفسير الدلالي كانت فيما انفرد في ذكره ابن أبي زمنين، المتوفى (٣٩٩هـ)، حيث قال: "وإنما صار الكلام (الرسولا) و(السبيلا)، لأنها مخاطبة، وهذا جائز في كلام العرب، إذا كانت مخاطبة". وقد تقدم ذكره.

ومع أن ابن أبي زمنين لم يوضح لنا المقصود بالمخاطبة، وكيف سوّغت هذه المخاطبة لحاق الألف، ولم يأت بأمثلة من كلام العرب في ذلك، لكن قد يفهم من كلامه أن المخاطبة تتضمن معنى دلالياً سوّغ لحاق الألف.

ثم تأتي الإشارة إلى المعنى الدلالي في الرد الذي نقله الزركشي، المتوفى (٧٩٤هـ) – ورجحنا أنه للمغربي– أنه تضمن التمييز بين حالة (السَّبِيْلَ) في الآية الرابعة من الأحزاب وحالتي (السَّبِيْلا) و(الظُّنُونَا) و(الرَّسُولاَ) ، ولكن من غير ذكر تفاصيل هذا التمييز.

ثم نجد من المحدثين محمداً أبا موسى يتحدث عن هذا الموضوع، فذكر قولهم: إن القرآن أحياناً لا يبالي بالمخالفة من أجل حفظ النغم، فذهبوا إلى أن لحاق الألف في (الظنونا) و(السبيلا) و(الرسولا) يقع ضمن ذلك.

ووصف ما ذهبوا إليه أنه يقوم على "إغفال الإدراك الدقيق الواعي لخصوصية الأساليب التي يحرص فيها القرآن على هذا النغم، وربطها بسياقها المعنوي والشعوري".

واعترض بنفس الاعتراض الذي ذكره المغربي بأن الألفات ليست لتناسب الآي، إذ لو كان الأمر كذلك لقال: (وهو يهدي السبيلا)[الأحزاب: ٤].

ووصف الاعتراضات التي تقدم ذكرها أنها مبنية على غفلة من السياق، ظلّت تعمل عند الدارسين.

ويرى أن الآيات جاءت لتصف أحداثاً أو شعوراً أو أفكاراً من نوع متوهِّج بدرجات مختلفة، فجاء قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[الأحزاب: ٤] "أسلوباً رزيناً هادئاً هدوء الحق الراشد إلى الصراط المستقيم"، وأبو موسى يفسر لنا بهذا سبب عدم لحاق الألف فيها.

ثم ينتقل أبو موسى إلى قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[الأحزاب: ١٠] الذي لحقت فاصلته الألف، فيقول: "جاءت في موقف عنيف كله حركة واضطراب وانفعالات، بلغت فيها القلوب الحناجر، وكأن الموقف يكاد يتفجر لولا هذا الانطلاق، وهذا الامتداد في تلك الألف"، ووصف الألف أنها أفرغت توتر الآيات قدراً استوى به نسق الأسلوب، فسياق الآية يوضح أن القوم في طوفان من الهول، لا يثبت معه إلا رجال.

ووصف قوله تعالى: ﴿فأضلونا السبيلا﴾ أنه صيحة قوم تتقلب وجوههم في النار، وهم يقولون في حسرة لاهفة:﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ [الأحزاب: ٦٦]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[الأحزاب: ٦٧]. ثم ختم كلامه بأنّ هذا غني عن البيان بعد الذي ذكرناه(٨٨).

ولعل أبا موسى استوحى فكرته في التفسير الدلالي مما قدمناه عن أبي زمنين أو من رد المغربي، أو من مصادر أخرى لم نطلع عليها.

وبعد أبي موسى نجد السامرائي يذهب إلى مثل ما ذهب إليه أبو موسى في التماس تفسير مجي الألفات موضوع البحث بالجوانب الدلالية، فذكر أن القياس لا يقتضي المد في هذه الفواصل، وهو لم يمد (السبيلَ) في أول الأحزاب بل قال:﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

وذكر أن الفرق بينهما أن آيتي المد هما من قول أهل النار فهم يصطرخون فيها وهم يمدون أصواتهم بالبكاء، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[فاطر: ٣٧]. "فالمقام هنا مقام صراخ ومدّ صوت، فناسب المدّ". وليست الآية الاخرى كذلك، فقد جاءت قول الله فيها مقرراً حقيقة معلومة، قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[الأحزاب: ٤]، فالمقام لا يقتضي المد ههنا بخلاف ذلك.

لكن السامرائي وإن وافق أبا موسى في التماس التفسير الدلالي في (السبيلا) و(الرسولا)[الأحزاب: ٦٦، ٦٧] اختلف معه في تفسير لحاق الألف (الظنون) في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾[الأحزاب: ١٠] فأرجع سبب إطلاق الألف لأنهم ظنوا ظنوناً كثيرة، فأطلقها في الصوت مناسبة لتعددها، وأضاف: لو قال (الظنون) لوقف على ساكن، والساكن مقيد، فناسب إ طلاق الألف إطلاق الظنون(٨٩).

والذي يراه الباحث أن التفسير الدلالي هو أكثر قبولاً من التفسيرات التي مرّ ذكرها، وقد كان تفسير أبي موسى مقبولاً في الألفات الثلاثة، أما السامرائي فكان تفسيره مقبولاً في ألفي (السبيلا) و(الرسولا)، لكنه لم يكن مقنعاً في تفسيره مجيء ألف (الظنونا)، حيث قرن إطلاق الألف بسبب تعدد الظنون، ولستُ أرى أية صلة للألف بتعدد الظنون، حيث إن هذا التعدد جاء من الدلالة الجمعية للمصدر (ظن)، والمصادر على الأغلب لا تجمع إلا إذا قصد بها التعدد"، وقد أشار المفسرون إلى هذا بشكل واضح، وذكروا أن (الظنون) جُمِع بسبب تعدد ظن كل من الفريقين(٩٠). وبعد هذا يكون تفسير أبي موسى لألف (الظنون) أكثر قبولاً.

والسامرائي من المعنيين بالتفسيرات الدلالية لمواضع متعددة في القرآن، ولا نعلم إن كان اطلع على أقوال ابن أبي زمنين ورد المغربي الذي نقله الزركشي، وأقوال أبي موسى الذي سبق كتابه كتاب السامرائي بأكثر من أربعة عقود، لكنا نرجح هذا الاطلاع وإن لم يشر هو إلى ذلك.

ولا أستبعد أن فكرة كون الألف متنفساً لمواضع البكاء والحزن والتحسّر التي عليها أهل النار لدى من ذهب إلى التفسير الدلالي استوحيت من لحاق الألف للتخفيف من الحزن والهمّ والألم في موضوع التفجع، فقد ذكر النحاة أن الألف تلحق المتفجّع عليه، نحو: (وزيداه)، والمتوجّع منه، نحو: (واظهراه)، وتلحق كذلك المستغاث عوضاً عن لامه في حال حذفها[٩١].

ونقل السيوطي أنها تلحق أيضاً المنادى غير المندوب، كقول امرأة من العرب: "فَصِحْتُ يا عُمْرَاه، فقال: يا لَبَّيْكَاه"[٩٢].

والذي أراه في قول المرأة أنه نداء يتضمن معنى استغاثة المرأة بعمر لقضاء الحاجة.

خاتمة البحث ونتائجه:

في ختام البحث أود أن أشير إلى أهم النتائج التي خرج بها، وهي:

١–أن البحث أورد القراءات التي وردت في الفواصل الثلاث، وأنها جاءت بألف الإطلاق وبغيره، لكن القراءة بالألف هي قراءة معظم القرّاء.

٢– أن البحث لا يؤيد ما ذكره معظم علماء العربية الذين نقل أقوالهم في الموضوع من أن رؤوس الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في قوافي الشعر، ففي موضوع ألف الإطلاق ظهر من إحصاء الفواصل المفتوحة الآخر، أن الألف لم تلحق:

أ– جميع الفواصل المعرفة بأل (عدا فواصل الأحزاب الثلاث).

ب–جميع الفواصل التي جاءت أفعالاً مفتوحة الآخر، إعراباً أو بناءً.

ج–جميع الفواصل التي تنتهي بضمائر مبنية على الفتح.

د– جميع الفواصل التي تنتهي بالنون مما جاء على صيغة جمع المذكر السالم أو على أمثلة الأفعال الخمسة، وعددها (٢٩٢٣) فاصلة.

وهذا كله لا يأتي في قوافي الشعر غير المقيدة إلا بألف الإطلاق، وليس الأمر كذلك في خطب العرب وأقوالهم التي يوقف عليها في كل هذه المواضع بالسكون، ولا تلحقها الألف، وبذلك تكون الفواصل أقرب إلى كلام العرب وخطبهم منها إلى قوافي الشعر.

٣– أن جميع الفواصل التي أطلقت بالألف هي أسماء لحقها التنوين، فهي إذاً ألف منقلبة عن تنوين (عدا ألفات فواصل الأحزاب الثلاث)، وهذا الأمر يشترك فيه كلام العرب وخطبهم وقوافي الشعر وفواصل القرآن.

٤– أن الفواصل المفتوحة الآخر نهجت كلام العرب وخطبهم، فجاءت أقرب إليه من قوافي الشعر.

٥-أن البحث لا يؤيد الرأي الذي أورده ابن عصفور بعدّه لحاق الألف بفواصل الأحزاب الثلاث ضمن أمثلة الضرورة، فالضرورة نقص، وكلام الله لا يعتريه النقص.

٦-أن البحث لا يؤيد التفسيرات التي فسرت لحاق الألف بفواصل الأحزاب الثلاث من ناحية تشبيههم الفواصل بقوافي الشعر مستنداً إلى الإحصاء الذي أورده.

ويرجح البحث التفسير الذي نحا منحى دلالياً، فهو أكثر قبولاً وإقناعاً من سابقه.

هوامش ومصادر البحث:

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل)، نشر دار عالم الكتب، السعودية، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١١، ص٥٢١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل)، ج١١، ص٥٢١.

(٣) الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول، نشر دار المعارف بمصر، ص٩٧.

(٤) الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد صقر، نشر دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٣م، ص٨٦.

(٥) السيوطي، الإتقان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٦٠٩.

(٦) السيوطي، الإتقان، ص٦٠٩.

(٧) الآلوسي، روح المعاني، تحقيق: ماهر حبوش وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٣، ص٢٩٤.

(٨) الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمان للنشر والتوزيع- الأردن، ط٢، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٥٧ وما بعدها.

(٩) الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد صقر، نشر دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٣م، ص٨٦.

(١٠) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص٨٦.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) الرّماني، النكت في اعجاز القرآن، ص٩٧-٩٨.

(١٣) الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص٢٥.

(١٤) الكوّاري، تفسير القرآن، ج٣، ص٤١.

(١٥) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، تحقيق: باسلوم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٩، ص٥٨.

(١٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، نشر عالم الكتب-الرياض، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢١، ص٤٢٥.

(١٧) السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، نشر دار الفكر- بيروت، ج٣، ص٢١٧.

(١٨) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبي عبدالرحمن حسين عكاشة، نشر الفاروق الحديثة– مصر، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٤، ص١٤٥.

(١٩) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق أبي محمد بن عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج٨، ص٢٨٥.

(٢٠) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: ابن عبدالمقصود عبدالرحيم، نشر دار الكتب العلمية– بيروت، ج٥، ص١٦٨.

(٢١) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم– دمشق، ط١، سنة ١٤١٥هـ/٢٠٠١، ج١، ص٩٥١.

(٢٢) البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط١، سنة ١٤٢٠هـ، ج٤، ص١٢٤.

(٢٣) الزمخشري، الكشاف، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار المعرفة–بيروت، ط١، سنة ١٤١٦هـ/ ٢٠٠٢م، ج٤، ص١٨٤.

(٢٤) الجوزي، زاد المسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي –بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢هـ، ج٤، ص٤٥.

(٢٥) العز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي (ت٦٦٠هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: عبدالله إبراهيم الوهبي، نشر دار أبي حزم– بيروت، ط١، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ج٣، ص١٢٤.

(٢٦) البيضاوي، أنوار التنزيل، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، نشر دار إحياء التراث–بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ، ج٥، ص٦٦.

(٢٧) النسفي، تفسير القرآن، تحقيق الشيخ مروان الشعار، نشر دار النفائس–بيروت، سنة ٢٠٠٥م، ج٣، ص٢٢٥.

(٢٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، نشر دار الكتب العلمي–بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٧، ص١٦١.

(٢٩) الثعالبي، الجواهر الحسان، تحقيق علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ، ج٥، ص١٢٥.

(٣٠) الآلوسي، روح المعاني، ٣٤٨/١٢.

(٣١) المراغي، تفسير القرآن، نشر مصطفى البابي الحلبي– مصر، ط١، سنة ١٣٨٥هـ/١٩٤٦م، ج٢٤، ص١٥٠.

(٣٢) طنطاوي، التفسير الوجيز، نشر دار النهضة– مصر، ط١، سنة ١٩٩٧م، ج١٢، ص٣٢٥.

(٣٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل).

(٣٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، نشر الدار التونسية– تونس، ج١، ص٧٦.

(٣٥) حسين، طه، من حديث الشعر والنثر، ص٢٥.

(٣٦) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص٦١٦.

(٣٧) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، نشر دار الحديث– القاهرة، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٦٥ ومابعدها؛ وينظر: العاني، دراسات في علوم القرآن، مطبعة المعارف– بغداد، ط١، سنة ١٩٧٢م، ص١٢٢.

(٣٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٦٥ وما بعدها.

(٣٩) نفسه، ج١، ص٧٣.

(٤٠) نفسه، ص٩٦.

(٤١) نفسه، ص٦٠.

(٤٢) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، نشر المكتبة العلمية، ج٢، ص٣٦٢.

(٤٣) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، سر صناعة الأعراب، تحقيق: حسن هنداوي، ط٢، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص٩٦.

(٤٤) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، نشر مكتبة الإنكلو المصرية، ط٥، سنة ١٩٨٤م، ص٢١٨، وينتظر تفاصيل النسق الصوتي في: عتيق، الاسلوبية الصوتية، بحث منشور في مجلة المنارة، المجلد١٦، عدد٣، جامعة آل البيت، ص٥–١١.

(٤٥) ابن جنّي، سر صناعة الأعراب، ج١، ص١٦٥.

(٤٦) ينظر: الفارسي، أبو علي، الحجة للقراءات السبع، ج٥، ص٤٦٨–٤٦٩، وأبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص٢١١، وابن الجزري، النشر، ج٢، ص٣٤٧ وغيرها.

(٤٧) أبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص٢١١.

(٤٨) الفرّاء، أبو زكرياء، معاني القرآن، ج٢، ص٣٥٠.

(٤٩) الأخفش، أبو الحسن، معاني القرآن، ج١، ص٧٩.

(٥٠) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج١٩، ص٣٦.

(٥١) الزجاج، معاني القرآن، ج٤، ص٢٣٧.

(٥٢) الفارسي، أبو علي، الحجة، ج٥، ص٤٦٨.

(٥٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج٢، ص١٣٥–١٣٦.

(٥٤) ابن أبي زمنين، أبو عبدالله، تفسير القرآن العزيز، ج٣، ص٤١٤.

(٥٥) تفسير ابن فورك، ج٢، ص٨٩.

(٥٦) الثعلبي، الكشف والبيان، ج٨، ص١٨.

(٥٧) فقه اللغة، ج١، ص٢٣١؛ والبيت ليس لزهير، وهو للبيد، ديوانه، ص١٣٩.

(٥٨) القيسي، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج٩، ص٥٧٩٦.

(٥٩) ابن سيدة، المحكم، ٨٠/١٠، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٧٢.

(٦٠) تاج القراء، أبو القاسم محمود بن حمزة، لباب التفاسير، ج٢، ص٩٢٤.

(٦١) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٧٩.

(٦٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص٣٠.

(٦٣) النيسابوري، أبو القاسم محمود بن الحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج٢، ص٦٦٩.

(٦٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٣٥٨.

(٦٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٢، ٨٠.

(٦٦) ابن عصفور، ضرائر الشعر، ص١٣-١٤.

(٦٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣٠، ص٧٤٣.

(٦٨) النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص ١٤٧، وج٣، ص ٥٦.

(٦٩) أبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص٢١١.

(٧٠) السمين الحلبي، الدر المصون، ج١٠، ص٧٣١.

(٧١) ابن عادلن اللباب في علوم الكتاب، ج١٥، ص٥١١.

(٧٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص٥٥.

(٧٣) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج٢، ص ٣٤٧.

(٧٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص٦١٣-٦١٦.

(٧٥) الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص٢٦٥.

(٧٦) الآلوسي، أبو الثناء، روح المعاني، ج٢١، ص٢١٤.

(٧٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ص ٢٧٠، وج٢١، ص٢٨٢.

(٧٨) الإبياري، الموسوعة القرآنية، ج٣، ص١٣٣، وج٨، ص٣٩.

(٧٩) ينظر مثلاً: صالح، عبد المنعم، العروض التطبيقي الميسر، ص١٣.

(٨٠) صفوت، جمهرة خطب العرب، ج١، ص ٣٧.

(٨١) نفسه، ج١، ص ٣٨.

(٨٢) صفوت، جمهرة خطب العرب، ج١، ص٨٩.

(٨٣) نفسه، ج١، ص ١٠٥.

(٨٤) نفسه، ج١، ص ١٠٧.

(٨٥) نفسه، ج٢، ص ١٣٢.

(٨٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ٥٥.

(٨٧) ابن عادل، اللباب، ج١، ص ٤٠.

(٨٨) أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني- ج١، ص٣٦١-٣٦٢.

(٨٩) السامرائي، د. فاضل، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص٣٣-٣٤.

(٩٠) ينظر مثلاً: الألوسي، روح المعاني، ج٢١، ص٢١٢.

(٩١) ينظر مثلاً: ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ج٣، ص٢٨٣.

(٩٢) السيوطي، همع اللوامع شرح جمع الجوامع، ج٢، ص٥١؛ وذكر أن ذلك جزم به ابن مالك ومنعه سيبويه.